آسيا وافريقيا تنال استقلالها الوطني الواحدة تلو الاخرى، كان العالم العربي يعيش وطأة «النكبة» التي أنبأ وقوعها بصراع يطول أمده، وينال من الاستقلال «الغض» لبلدان الشرق الادنى وعموم العالم العربي. وكان قيام اسرائيل واسباغ شرعية دولية عليها، مدخلاً لاخضاع العالم العربي، مجدداً، للهيمنة الاستعمارية بصيغة جديدة، أشد وطأة من صيغ الاستعمار المباشر أو الانتداب. ثمّ جاءت ثورة ٢٣ يوليو (تموز) دونما ضجيج يذكر خارج مصر، الى ان بدأ دور مصر العربي يتبلور شيئاً فشيئاً في منتصف عقد الخمسينات. وقد ساهمت تطورات الاحداث، الى حد كبير، في صياغة هذا الدور. في كتابه «مصر في ظل عبدالناصر»، والذي كُرس لدراسة شخصية عبدالناصر الكاريزماتية، في ضوء نظرية ماكس فيبر، عن القائد الكاريزماتي، يشير هرايرد كمجيان، الى ان سياسة عبدالناصر الخارجية كانت مصدراً أساسياً من مصادر شرعية عهده[٢٥]. فهذه السياسة أسفرت في رأي دكمجيان عن ثلاث نتائج مترابطة من حيث الاهمية والأثر، هي[٢٦]:

اولاً: نجاح عبدالناصر على الصعيد الدولي الذي أكسبه شعبية خاصة بين المصريين وعموم العرب.

ثانياً: ان الشعبية الواسعة التي اكتسبها عبدالناصر بسبب دعوته للوحدة العربية أدّت الى ثورة ايديولوجية أحدثتها النخبة الجديدة، ممّا أسهم في خلق نماذج بين هوية مصر المصرية وهويتها العربية.

ثالثاً: ان تبنّي عبدالناصر لايديولوجيا الوحدة العربية أدّى الى تغيير أساسي في النظام العقائدي للمصريين، ممّا أسهم في بلورة هوية عربية ناجزة لمصر.

على ان دعوة عبدالناصر للوحدة العربية ما كانت لتأخذ هذا الطابع الملح لولا اقترانها بالمأزق الناجم عن مشكلة فلسطين، والخطر الماثل بدولة اسرائيل. لهذا كان العمل على استنهاض همة الجماهير العربية، لمواجهة هذا الخطر الداهم، محوراً أساسياً من محاور خطابات عبدالناصر. وهذا يقودنا الى الترجيح بأن عظمة الفكرة ـ لا عظمة عبدالناصر الفرد، على الرغم من تميّزه كقائد فذّ ـ هي التي تجاوبت معها الجماهير العربية، في تلك الفترة، بدليل وجود أحزاب قومية كحزب البعث مثلاً، تعارضت سياساتها مع سياسات عبدالناصر، ومع ذلك تمكّنت هذه الاحزاب من استقطاب جمهور واسع من أبناء بلاد الشام والخليج العربي. وأمّا حركة القوميين العرب الموالية لعبدالناصر، فقد كان أبرز قادتها من الفلسطينيين، الذين منحتهم الدعوة العربية تعويضاً أدبياً وسياسياً عن الهوية «المعلّقة» لاقليم فلسطين، في الوقت الذي قامت فيه كيانات اقليمية في أقطار الجوار، التي اصطلح تاريخياً على تسميتها ببلاد الشام، أو سوريا الكبرى. واما حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) التي أعلنت عن انطلاقتها في مطلع العام ١٩٦٥، فإنها طرحت لنفسها هوية «فلسطينية المنطلق، عربية العمق».

لقد رجح العديد من الدارسين الغربيين للتجربة الناصرية ان رسالة عبدالناصر العربية جاءت لتلائم أزمة الهوية التي عانى منها الشعب المصري لأكثر من ألفين وأربعمئة عام من الخضوع للحكم الاجنبي، وأن عبدالناصر ورفاقه من الضباط الاحرار «اعتبروا بحق أبناء الشعب المصري، لا بسبب أصولهم الطبقية المتواضعة، بل لأنهم جميعاً كانوا من أصل مصري»[٢٧]. ولهذا الامر مغزاه الهام؛ فعبدالناصر هو أول مصري يحكم مصر بعد هذه الفترة الزمنية الطويلة من الخضوع للاستبداد الاجنبي. لذا، فإن صعوده ورفاقه الى سدة الحكم منح المصريين نوعاً من الاحساس